نظرة فى البهائية

ظهر فى نحو منتصف القرن التاسع ببلاد الفرس مذهب جديد فى الدين دعا إليه الميرزا على محمد هنالك ملقبا نفسه بالباب ، يريد الباب الموصل إلى الحقيقة ، وسمى مذهبه بالبابية . ولما انتهى الأمر فيه إلى خليفته الملقب ببهاء الله نسخ اسمه الأول وسمى مذهبه بالبهائية . وإنا لناظرون فى أصول هذا المذهب نظرة نقد وتمحيص ، لما نراه من نشاط الدعوة إليه ، إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ، فنقول :

للبهائية عقيدة فى الله على طريقة الذين يقولون بأنه مجموع الكائنات ، كما ورد فى كتابهم (البيان) مترجما عن الفرنسية من قوله : « الحق يا مخلوقاتى أنكِ أنا » .

وعندهم أن الله تعالى أرسل رسله بالحقائق الكلية على طريقة الرمز لقصور عقول الناس عن إدراكها ، مدخرا بيانها وكشف الأسرار عنها إلى (بهاء الله) مظهره الأكمل فى آخر الزمان .

والرسل عندهم مظاهر لله نفسه ، يتجلى بهم على الناس لهداية خلقه ، فالسابقون على بهاء الله إنما بعثوا لينبهوا الطبيعة الإنسانية النائمة ، فلما تم لها هذا التنبه ، واستعدت لقبول الحقيقة سافرة ، ظهر الله أولاً بمظهر (الباب) الملقب بحضرة العلى ، ثم تم ظهوره وإشراقه أخيرا فى (بهاء الله) الذى كان منفيا فى عكاء ، فهو فى اعتقادهم المظهر الإلهى الأكمل ، تجلى على خلقه ليوحى إليهم الحقائق الخالدة الى توصلهم إلى حظيرته القدسية العليا . قال داعيتهم الشيخ أبو الفضل الجرفادقانى فى كتابه (الدرر البهية) فى هذا الموضوع عن الأنبياء الأولين :

« وإنما بعثوا لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالى حتى يبلغ الكتاب أجله ، وينتهى سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ ، فيظهر (روح الله الموعود) يكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود » يريد بروح الله الموعود خليفة الباب المسمى (بهاء الله) .

وهم بعد أن قرروا هذه الأصول عمدوا إلى نصوص الكتب السماوية ، وأخذوا يؤولونها تأويلات غريبة وبعيدة ، أملاها عليهم تعمقهم فى الخيال ، ليصلوا من ذلك إلى ما يؤيدون به أهواءهم ومزاعمهم الزائفة ، وضلالاتهم السخيفة .

من التناقض الغريب أن يكون أساس الديانة التى تدعى كشف غوامض الأديان ، من الغموض والإبهام بحيث تستعصى على الأفهام ، ولا يقبلها العقل فى أى زمان ، فإن القول بأن الله هو جميع الكائنات ، وأنه جل وعز قد يظهر فى بعض الأفراد ، ليهدى الناس إلى سبيل الرشاد ، يرد عليه من النقد الداحض ما لا قبل لأحد على دفعه بالوسائل الكلامية . فإذا كان المذهب الذى يدعى بأنه كشف المشكلات ، وحل المعميات ، يجعل أساسه أغمض مسأله فى تاريخ المعقولات الإنسانية ، كان ذلك خروجا منه على أصله ، وعدوانا صارخا منه على أساسه .

وإذا نظرنا من ناحية فلسفية ، فى تاريخ المسائل الدينية ، رأينا أن عاملين خطيرين قد فرقا بين الأديان ، وجعلا أهلها شيعا يضلل بعضهم بعضا (أولهما) ما تجرأ عليه قادتها من التهافت على تصوير الخالق بصورة ذهنية . و(ثانيهما) اعتمادهم على تأويل ما لم يحيطوا بعلمه ، ولم يكلفوا البحث فيه من الشئون العلوية .

فبالعامل الأول اختلف أهل الملل فى تحديد ذات الخالق ، فأصبحوا بين معدد ومجسم ، ومشبه ومعطل ، وجميعهم لا يصدرون عن علم مقرر ، ولا أصل محقق ، ولكن عن الخيال المحض . وقد تأدى أكثرهم إلى تأليه أنبيائهم وقدِّيسيهم ، فلما جاء الإسلام حسم مادة هذا العامل المفرق ، فقرر أن الإنسان مهما حلق فى جو الخيال والتصوير ، وأبعد فى مجال النظر والتفكير ، فلن يصل إلى إدراك ذات الخالق ، فأمر متبعيه بأن يقتنعوا بمحض الاعتقاد بوجوده مع تنزيهه الكامل عن كل ما يجول فى خيال المشبهين ، وهو ما تدل عليه بداهة العقل . أما أى جهد يبذل فيما وراء ذلك ، ففضلا عن أنه لا يأتى إلا بخيال لا حقيقة له ، يكون أثره المباشر اختلاف النِّحل إلى مذاهب لاعداد لها ، فلا تعود تجمعهم جامعة الدين الحق ، الموافق للفطرة البشرية ، والمناسب لدرجة قواها المعنوية ، فقد قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة طه : ١١٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة الأنعام : ١٠٣ .

وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يدرك إلى اليوم حقيقة المادة التى بين يديه ، ولا حقيقة نفسه التى بين جنبيه ، ولا تركيب الوجود الذى يراه بعينيه ، فمن الفضول أن يتطاول إلى تصوير ذات الله بأى صورة تخطر بباله .

وأما العامل الثانى الذى مزق وحدة الأمم وجعلها شيعا ، فهو صرف نصوص الكتب السماوية عن ظواهرها إلى ما يوافق أهواء البهائيين ، ويؤيد مزاعمهم التى يتشيعون لها .

جاء فى الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ليبعث لكم الفارقليط الذى ينبئكم بالتأويل » وقوله : « إن الفارقليط الذى يرسله أبى باسمى » فذهب المسيحيون إلى أن المراد بالفارقليط روح القدس ، ولكن البهائية التى أولعت بصرف النصوص عن ظاهرها إلى ما يؤيد أهواءهم قالوا إن المراد بالفارقليط بهاء الله . (انظر كتاب الدرر البهية) .

ومن هذا الشطط ما ذهبوا إليه فى تأويل يوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم القيامة ، والساعة وأمثالها ، مما ورد فى القرآن الكريم ، فقد أولوا كل ذلك بيوم نزول روح القدس ، وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم . وليس يخفى على عاقل أنه إذا سوغ البهائيون لأنفسهم مثل هذا التأويل الزائف ، فإنه يجوز لكل طائفة أن تتخذ ما تشاء من التأويلات التى لا يرضاها عقل ليؤيدوا بها أهواءهم ، ما دام الأمر جاريا على قاعدة الترجيح بلا مرجح من أى ضرب كان .

ومن أغرب ما رأيناه من ضروب التأويل ما ذكره الشيخ الجرفادقانى فى كتابه (الدرر البهية) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [1] ، فقال : « إن فيها تعيين محل نزول الموعود ، وتصريحا بأن نداء الرب تعالى يرتفع من الأرض المقدسة أقرب الأراضى إلى الأقطار العربية ، وهى الجزء الغربى من البلاد السورية » . يريد أن فى هذه الآية إشارة إلى عكاء حيث كان يقيم بهاء الله ، وأنه هو المنادى المذكور فيها ، وبداهة العقل تشهد بأن هذه الآية وردت فى يوم القيامة ، كما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل .

---

(١) سورة ق : ٤١-٤٢ .

يتضح للقارئ مما مر أن الديانة البهائية قد تأسست على العاملين اللذين فرقا الأديان وجعلا أهلها شيعا ، وهما الخوض فى تناول ذات الله بالخيال ، وإطلاق العنان للتأويل بدون ضابط من العقل ، ولا ترجيح من العلم ، ولا مسوغ من اللغة .

طموح البهائية إلى أن تكون دينا عاما للبشر :

إن طموح البهائية إلى أن تكون دينا عاما يدخل فيه الناس على اختلاف جنسياتهم ونحلهم هو مما يقضى بالعجب ، لأنها ليست بدين سماوى ، وليس فيها من الأصول والمبادئ ما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت فى عرض نفسها على الأمم . فأين هى من الإسلام الذى بنَى أمما قوية ومدنيات فاضلة فى خلال عصور متعاقبة ، ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم (برناردشو) الفيلسوف الانجليزى المشهور ، على أن مبادئ الإسلام يوشك أن تعم العالم أجمع . فهذه الحيوية القوية الدائمة فى الديانة الإسلامية ، وصلاحيتها لأن تكون دينا عاما للناس كافة ، إنما حصلتا لها بسبب قيامها على حقائق إلهية خالدة :

(**أولاها**) موافقتها للفطرة التى فطر الله الناس عليها .

(**ثانيتها**) اعتمادها على العقل والعلم .

فبموافقتها للفطرة الإنسانية ارتكنت على جملة الغرائز النفسية ، وينبوع قواها المعنوية . ولا يخفى أن هذه الفطرة واحدة فى جميع أفراد النوع البشرى ، وما ترمى إليه من أغراض الوجود لا يتعدد إلا بعارض من التربية الفاسدة ، أو الوراثات الضالة ، ولكن الفطرة خلقت سليمة ، فلا تلبث حتى تستقيم على جادتها ، وتخلع كل ما صبغت به قهرا من الصبغ الوقتية ، فمصيرها محتوم ومتعين ، وهو الوحدة العامة ، فلا مناص من أن الدين الذى يقوم على الفطرة الإلهية هو الذى سيكون له السيادة العامة حتما .

وباعتماد الديانة الإسلامية على العقل الكامل والعلم الصحيح ، قد ضمنت لنفسها العاقبة التى لا مفر للعالم منها ، وهى الإجماع البشرى على أنها الدين الحق الذى لا معدل عنه .

فأنت ترى أن الإسلام قد استجمع جميع العوامل التى تضمن له التعميم والخلود ، وترد إليه الخلائق محفوزة بغرائزها الفطرية ، وبقوى الوجود التى تتولى الإنسانية .

فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق ، وهى تقوم على أصلين ، أحدهما عتيق غامض ، قال به أفراد من محبى السبْح فى الخيالات فى كل زمان ومكان ، ولم تصادف مذاهبهم إلا إعراضا ونفورا ، وهو تصوير ذات الله بصور المخلوقين . تعالى الله عما يقوله المبطلون علوا كبيرا ، وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها مجال فسيح للظنون والأوهام والخبط ، قامت عليه فرق قبلها وجلت عن الأرض ولم تخلف أثرا .

ليس العالم فى حاجة إلى البهائية :

إن من يستقرى أدوار التطورات العقلية ، والنظم الاجتماعية ، والديانات السماوية يجد أن كل تجديد فى هذه المجالات نشأ عن حاجة ماسة إليه من الشعوب والأمم ، وأن كل نجاح يصيبه دين من الأديان أو نظام من النظم يكون يكون مناسبا للقدر الذى يحمله إلى الناس من الوفاء بتلك الحاجات ، فقد نشأت الفلسفات والمذاهب متعاقبة ، فكان كل متأخر منها يكمل نقصا فى سابقه ، وجرت النظم الاجتماعية على هذا السمت نفسه ، فكان منها سلسلة متتالية الحلقات تسد كلُّ تالية منها خلة فى سابقتها .

وعلى هذا التدرج الطبيعى المطرد تتابعت الديانات على الإنسانية ، فكانت كل واحدة منها تحمل للعالم نظاما جديدا دعت الحاجة إليه ، واقتضته الضرورة ، ناسخة ما بطلت الحاجة إليه ، أو ما كانت ضرورته محلية ، وتزيد على ذلك بيان ما أخطأ البشر فى فهمه من الوحى السابق عليها ، أو تصحيح ما تعمدوه من تحريفه .

فمن يتأمل فى الأديان السماوية الثلاثة التى محص العلم تاريخها ، وهى اليهودية والنصرانية والإسلامية ، يجد هذه التجديدات المتعاقبة ماثلة فيها مثولا محسوسا . فموسى عليه السلام قضى على الوثنية فى أمته ، وجاء بشريعة هادمة لها ، وكافح الضلالات التى كان يقول بها قومه كفاحا شديدا ، وبيّن أخطاءهم فيها بيانا صريحا .

وعيسى عليه السلام أرسل لتعديل ما اعوج من أمر بنى إسرائيل ، وتصحيح ما تحرف من أصولهم ، مقررا أصولا جديدة دعت إليها ضرورة الاجتماع على عهده . ومحمد ﷺ خاتم المرسلين قضى على الوثنية التى كانت سائدة فى بيئته ، وتصدى لليهودية والنصرانية ، فرد أصولهما إلى حقائقها ، وقوّم نظر الآخذين بهما ، ونسخ ما بطلت الحاجة إليه منهما ، ودعا العالم كله إلى وحدة الدين ، ووحدة الوجهة والغاية ، مؤسسا دعوته هذه على أصل لا يمكن أن يختلف فيه عاقلان ، وهو : أن الله واحد ، ودينه لجميع خلقه واحد . فإن آنس ناقد أن الأديان متخالفة ، فإنما حدث ذلك من فعل قادتها ، والقائمين بشرحها وتأويلها ، فطالب كل آخذ بها ، بالرجوع إلى أصلها ، وأصلها هو الإسلام الذى أوحى إلى كل الرسل السابقين ، ثم إلى خاتمهم محمد على فترة منهم . وشفع هذا البيان الحاسم بنظام اجتماعى محكم ، أقامه على الفطرة والعقل والعلم والأعلام الكونية . وأودع ذلك كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فهل العالم بعد هذا البيان فى حاجة إلى البهائية ؟ ما هى الأصول التى تسمح لها أن تطمح إلى قيادة العالم كله ، وأن تقر بها السلام العام فى الأرض ؟

هى ما تحلم به من أنها تفسر غوامض المسائل الدينية ، وتوفق بين نصوصها الكتابية من طريق صرفها عن ظواهرها ، زاعمة أنها ترمى بذلك إلى ربط الأمم برابطة أخوية مجردة عن الخلافات المذهبية . وقد رأيت أثر هذا الأصل فى إفساد كيان الأديان وصرفها عن حقائقها الأولية .

هل آتت البهائية العالم أصولا جديدة :

تدعى البهائية أنها آتت العالم بجديد من الأصول لم يدر فى خلد المصلحين قبلها ، كاتحاد الأديان ، وترك التعصبات ، واتحاد الأجناس ، ومساواة المرأة بالرجل ، والسلام العام ، متذرعين بذلك إلى القول بأن القرآن ليس ختام الوحى السماوى ، وأن النبى ﷺ وإن كان آخر المرسلين إلا أنه ليس المظهر الأكمل لله تعالى ، وهى المنزلة التى حُفظت فى زعمهم لبهاء الله وحده ، وأن الإسلام ليس بالدين العام الأخير ، فهذا الوصف لا ينصرف فى وهمهم إلا على البهائية دون سواها .

كل هذا ليس بحق ، وليس عليه مسحة من علم ، ولا عبقة من عدل .

فأما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الإسلام وأسسه على أقوى الأصول ، وحاطه بأحكم الدلائل ، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد ، وأن الخلافات التى بينها ما حدثت إلا بسبب ما أدخله قادتها عليها من الأضاليل والأوهام ، فقد قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ، وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ، أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ، وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ (أى لا محاجة ولا خصومة) ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ، وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (٣) .

فالإسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضا ، ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفريق بينهم ، جاعلا القول بهذه الوحدة أساسا للدين الحق ، لا يقبل إيمان يقوم على أساس غيره ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

---

(١) سورة الشورى : ١٣–١٥ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٣–٨٤ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٩ .

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ حَقًّا ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١) .

فوحدة الدين كما ترى هى الأساس الذى يقوم عليه الإسلام ، والإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية شرط أولى فيه مع فارق كبير بينه وبين البهائية ، وهو أنه مع تأسسه على وحدة الدين ، يبين الأسباب التى ولدت من هذه الوحدة تعددا ، وهى ما دسّه قادة الدين فيه من ضلالاتهم وخزعبلاتهم ، ثم يكر عليها بالنقض والتجريح ، على طريقة التمحيص العلمى الصحيح ، لا كما تفعل البهائية من تكلف تأويل كل هذه الضلالات التى ثبت علميا أنها من مولدات الأوهام فى عصور الطفولة البشرية .

أما ترك التعصبات ، فإن كان المراد منه التعصبات الجاهلية التى تحمل على اضطهاد المخالفين فى الدين ، فهذا قد سبق إلى تقريره الإسلام ، وعمل به أهله ، مما أصبح مضرب الأمثال ، فقال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢) .

ولكن ليس من التسامح فى شىء أن تقول للناس وهم يختلفون فى النظر ، ويتفاوتون فى الفهم ، ويتباينون فى التمحيص : إنكم كلكم على الحق ، وإن ما تتخالفون فيه له عندى وجوه من التأويل ، فاثبتوا على ما أنتم عليه منها ، فإنه يؤديكم جميعا إلى غاية واحدة ؛ ولكن الإصلاح كل الإصلاح أن تبين الحق عند أى فريق كان ، وتؤيده ، وأن تنقد الباطل وتدحضه وتحذر منه ، وأن تبتعد فيما أنت بسبيله عن تأويل الوساوس لتعيرها مظهرا من الحق ، فإنها بذلك تصبح أفتك لأهلها ، وأضل لهم ، مما كانت عليه مجردة من الزخارف الكلامية .

هذا ما نفهمه ، وما فهمه الناس قديما ، وما يفهمه أهل البصر حديثا ، وليس

---

(١) سورة النساء : ١٥٠-١٥١ .

(٢) سورة الممتحنة : ٨ .

وراءه مذهب ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ ﴾ (١) .

أما اتحاد الأجناس فإن الإسلام سبق العالم كافة إلى الدعوة إليه ، وأيده بالدلائل العلمية التى لا تقبل الدحض ، فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢) . وقال ﷺ : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، كلكم من آدم وآدم من تراب » . وقد جرى العمل فى العالم الإسلامى على هذا الأصل منذ صدره الأول إلى اليوم ، فالبهائية قد تأخرت فيه عن الإسلام نحو ثلاثة عشر قرنا .

أما مساواة المرأة بالرجل ، فإن كانت فى الحقوق الطبيعية والمدنية والشرعية والعلمية ، فإن الإسلام قد بلغ من كل ذلك المدى الذى ليس بعده مطمح ، فاعتبر المرأة إنسانا حرا لها أن تتصرف فى ممتلكاتها وأموالها بدون توقف تنفيذ إرادتها على إرادة زوجها ، وهو ما لم تصل إليه المرأة الغربية بعد ، وأن تعامل أمام القضاء بما يعامَل به الرجل على قدم المساواة ، وأن تطلب من العلم ما تطمح همتها إليه دون حجر ولا تحديد ، وأن تحضر الصلوات فى المساجد ، وأن تشهد الأمور العامة للمسلمين ، وأن تبدى رأيها فيها ، ، وأن تعلّم الناس إن بلغت مرتبة التعليم ، وأن تفتى فى المعاضل . وزادت الشريعة الإسلامية فى العناية بها ، ففرضت على أبيها ثم على زوجها أن يكفياها الكد لنيل العيش ، فإن لم يكن لها أب ولا زوج وجب على أقاربها القيام بذلك ، فإن تجردت من كل قرابة وجب على بيت المال أن يسد عنها هذه الخلة .

نعم إن الإسلام جعل نصيبها من الميراث النصف مما للذكور ، ولكن لم يكن منه ذلك احتقارا لشأنها ، بل لأنه لم يكلفها السعى لتحصيل قوتها .

فإذا أريد بالمساواة أن يُلَقى حبلها على غاربها ، وأن تتبرج تبرج الجاهلية ، طائفة الشوارع ، وغاشية الأسواق لفتنة الرجال ، فإن الإسلام لا يسمح لها بذلك

---

(١) سورة يونس : ٣٢ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

ولا يعده من الإكبار لها ، بل إنه قد حرم ذلك على الرجال أيضا . وأنت ترى أن أوروبا تجنى اليوم الشر المستطير الناجم من هذه الإباحة ، وتعمل جاهدة على تلافى مضارها .

بقيت مسألة السلام العام بين الأمم ، وفيها نقول :

لا يجوز أن يتحدث متحدث عن السلام العام إلا بعد أن يدقق البحث فى الحوائل التى تحول دونه ، ليعرف ما هو منها متأصل فى طبائع البشر ، وما هو عارض من عوارض طبيعة العمران ، وما هو ناشىء من تأثير التربية ، وما هو صادر من التقاليد الوراثية للجماعات ، وما هو مبنى على حاجات اقتصادية قاهرة إلخ إلخ ، ليعالج ما يقبل العلاج منها ، ويترك ما لا يقبله إلى التطورات المقبلة . هذا إذا أراد الداعى إلى السلام العام أن لا تكون دعوته كلمة جوفاء تجوب الجواء ولا تحدث أثرا ، كما حصل فى كل زمان ومكان .

وفى رأينا أنه لا يجوز الكلام فى السلام العام قبل أن يتوطد السلام الخاص لكل أمة بين آحادها ، فإننا نرى حروبا ومعارك تشب نيرانها بين طبقات الأمة الواحدة فيسفك بعضها دماء بعض تحت اسم ثورات أهلية ، أو انقلابات اجتماعية ، أو اعتصابات اقتصادية . بل نرى ما هو أخص من ذلك من العدوانات الفردية ، فيقتتل الآحاد لأقل الأمور شأنا ، أو لمجرد النهب والسلب ، وإشباعا للشهوات البهيمية ، وتضطر الحكومات إزاء هذه الحالات أن تتخذ جنودا مسلحين للضرب على أيدى المعتدين .

فإذا كانت الحرب تشب بين آحاد ذوى قومية واحدة ، ودين واحد ، رغما عن النظم التى تتذرع بها الحكومة لقيادتهم ، ورغماً عن المواعظ التى تلقى عليهم ، والآداب التى لُقنوها فى طفولتهم ، فهل يطمع طامع أن يوجِد سلاما عاما بين أمم من قوميات متخالفة ، وقوى متباينة ، وهى تحت تأثير عوامل وبواعث من كل ضرب ؟

فإذا كانت البهائية تكتفى من التحكك بمبدأ السلام العام ، بمجرد الدعوة إليه ، فلها ما أرادت ، ولكنها تكون منها على حد ما سبقها وما تلاها من الطوائف والجمعيات الكثيرة .

نظر الإسلام على عادته فى كل شأن خطير إلى هذه المسألة من أخفى نواحيها ، وأتى بالقول الفصل فيها .

فقرر أولاً الأصل الطبيعى الذى تقوم عليه الجماعات فى وحداتها ، وفى مجموعها ، وهو الأصل الذى يكفل بقاءها ، ويضمن استمرارها ، وينفى العوامل المفسدة عن كيانها ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١) .

نعم : لفسدت الأرض ، ألا ترى أن الله يدفع بالحكومة عدوان العادين على نظمها المقررة ، وعلى الآحاد الوادعين منها ؟ ولولا ذلك لحلت الفوضى ، وتغلب أقوياؤها على ضعفائها وسلبوهم ما بأيديهم ، فيفسد كيانها ، وتنحل ربطها ، وتجلو عن سطح الأرض .

ولولا أن الأمم قد أُلهمت أن تستعد لرد المغيرين عليها ، ودفع الطامعين فيها ، لانحلت عراها ، وتفرق آحادها ، ولم يبق لها وجود بين الأمم .

فهل كان يراد من الإسلام أن يخالف فى ذلك السنن الاجتماعية ليُقَضى عليه وليدا فى مهده ، قبل أن يؤدى للعالم الخدم المنتظرة منه ؟

ألا تعجب أن البهائية نفسها لجأت فى آخر عهدها ببلادها إلى التحاكم إلى السيف ، فابتنى أشياعها حصنا لهم فى مازندران وأصْلوا جيوش الحكومة نارا حامية ، ثم اعتراهم الوهن فأخذتهم الأسنة من كل مكان ، حتى لم تبق لهم دعوة علنية فى عقر بلادهم .

فإذا كان الذين يفخرون بأنهم يَدعون إلى السلام العام اضطروا إلى الَّلجْأ إلى الحرب ، أليس هذا دليلا محسوسا على أن هذه الوسيلة لا تزال من حاجيات الحياة الاجتماعية ، وأن الضرورة قد تدفع إليها فلا يكون بد منها ، وقد شرعت فى الإسلام للدفاع عن الحوزة وحماية الدعوة : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) سورة الحج : ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [١] .

خاتمة :

يتبين مما مر أن البهائية لا تصلح أن تكون دينا قائما بنفسه ، ولا إصلاحا فى دين سابق عليها ، بله أن تكون دينا عاما للبشر كافة .

فأما وجه عدم صلاحيتها لأن تكون دينا قائما بنفسه ، فقد سبق بيانه .

وأما وجه عدم صلاحيتها أن تكون إصلاحا فى دين سابق عليها كالبوذية فى البرهمية ، وكالبروتستانتية فى المسيحية ، فلأنها لم تتصد لدين واحد لتقويم نظر أهله فيه ، وتعديل عوجهم فى فهمه ، ولكنها تناولت الأديان جملة محاولة التوحيد بينها ، على ما فى غالبها من التحريفات الظاهرة ، والآراء الباطلة .

ولكن الإسلام بعد أن أسس بنيانه على الأصول الخالدة التى تذعن إليها الإنسانية ، قرر أن الله سبحانه وتعالى أوحى دين الفطرة هذا إلى رسله فى خلال العصور ، ولكن قادته من بعدهم أخرجوه عن صراطه ، وحرفوا أصوله على ما تصوره لهم أوهامهم . لهذا السبب اختلفت الأديان كل الاختلاف ، فأعاد الله وحى هذا الدين إلى خاتم رسله محمد ﷺ ، ليرد إليه الغالين والمقصرين ، وأمره بأن يبلغ ذلك إلى الأمم كافة ، ففعل .

فهذه الدعوة التى يذعن لها العقل ويؤيدها العلم والفلسفة والتاريخ من كل وجه تصلح أن تعمم بين البشر ، وهى مادة الإسلام ، وصبغته الإلهية التى واجه بها العالم كله .

فإذا كانت الفطرة الإنسانية قد ألهمت أن لابد لها من دين تسكن إليه ، فلا يمكن أن يكون ذلك الدين إلا موافقا لتلك الفطرة ، ولا يجوز أن يكون مخالفا للعقل الذى جعله الله مميزا بين الحق والباطل ، ولا مناقضا للعلم الذى كتب له أن يعم الناس كافة . وقد نقد العقل والعلم كل ما ورد عن الأمم فى دور طفولتها من التقاليد

---

(١) سورة الأنفال : ٦١ .

والموروثات الضالة ، واعتبرها وساوس لا يصح أن تبقى فى عهد الرشد الذى بلغته الإنسانية ، فألقيا بها بعيدا عن مجال النظر . فإذا كان قد بقى فى الناس من يأخذون بتلك الوساوس ، فلن يطول عهدهم فى هذه الطفولة ، ولابد من أن يأتى عليهم حين من الدهر يخضعون فيه تحت تأثير التربية القويمة والثقافة العلمية لمقررات العلم فيجدوا الإسلام عنده .

نحن نعلم أن الذى حدا البهائية إلى سلوك طريقة التأويل إنما هو تألّف عامة الشعوب لتسارع إلى الدخول فيها محفوزة بتقاليدها وموروثاتها ، وكان الأولى بها أن تتألف العقل والعلم ، فإنهما دائبان على القضاء على تلك البقايا الطفلية من الأوهام الرثة ، وقد لا يمضى قرن أو قرنان حتى لا يبقى لهذه الأوهام أثر فى عقلية الجماعات الإنسانية . فإلى أية حال يؤول أمر البهائية يومئذ ؟ لاشك فى أنها تؤول إلى التلاشى الذى لا قيام لها بعده .

فالدين العام كما ترى هو الذى يكون بطبيعته وجوهره مشايعا لأدوار رقى العقل السليم ، ومنتهيا معها إلى حيث تنتهى من درجات الكمال المنتظر من إدراك الحق مجردا من كل صبغة بشرية ، أو نزغة وهمية ، يوم لا تبقى إلا صبغة الله وحده ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ [1] ؟ وهذا الوصف ينطبق على الإسلام وحده كما رأيت ، سواء أكان من ناحية طريقته الإصلاحية فى تطهير النفوس ، وإحياء القلوب ، أم من ناحية أسلوبه فى مسايرة العلم والفلسفة إلى غاياتهما .

فالمآل للإسلام حتما مقضيا ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فقال : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [2] .

وقد اعتقد هذا المصير كثير من الأجانب عن الإسلام ، فقال المؤرخ الإنجليزى الكبير بوسورث سميث فى كتابه (محمد والديانة المحمدية) : « إنه سيأتى يوم تعترف

---

(١) سورة البقرة : ١٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٣ .

فيه أدق فلسفة ، وأخلص مسيحية بأن محمدا رسول الله حقا » .

يستخلص مما مر كله أن البشرية ليست فى حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام ، فإنه استكمل جميع شرائط الدين العام ، وقام على نفس الدرب الذى تسلكه العقول للوصول إلى الحقائق الخالدة . وقد أعلن كتابه أن آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس ستَكشف للناس بالدلائل القاطعة أنه الحق ، فيجمعون على الأخذ به ، والانضواء تحت علَمه ، فقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) (*) .

* * *

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(*) مجلة الأزهر : المجلد الخامس ، الجزء الثانى ، سنة ١٣٥٣ هـ . (صفحة ١١١) .

القاديانية فى الهند

القاديانية من النحل الهندية ، تقول بنبوة رجل من مدينة قاديان اسمه غلام أحمد ، ادعى أن الله كان يوحى إليه بكل الطرق التى كان يوحى بها إلى أنبيائه ، وأنه مسيح الأمة الإسلامية كما كان عيسى مسيح الأمة الموسوية ، وأن رسالته عامة للناس كافة .

ولد غلام أحمد سنة (١٢٥٢ هـ) فتعلم العربية وتلقى النحو والمنطق والفلسفة وقرأ القرآن واطلع على العلوم الدينية . ثم تقلد وظيفة فى إدارة نائب الملك فى بلاده مدة أربع سنين ، ثم استقال ولحق بأبيه .

وفى سنة (١٨٧٦) زعم غلام أحمد أنه ينزل عليه الوحى ، فأنكر عليه علماء بلده هذه الدعوى وشددوا عليه النكير ، فرحل إلى لودهيانه وأذاع بيانا ادعى فيه أنه المسيح المنتظر ، فأثار سخط العلماء ، وأخذوا يتعقبون مزاعمه بالرد .

ثم شخص إلى لاهور ودهلى ناشرا مذهبه .

ولما عاد إلى بلدته بنى بها مسجدا خاصا بشيعته ، ومدرسة لتعليم أبنائهم ومدرسة أخرى لتخريج الدعاة إلى مذهبه . وأسس جريدة سماها (الأديان) لنشر دعوته كان يكتب بعض فصولها بقلمه . ولما كان بلاهور فى سنة (١٣٢٦ هـ) أدركته الوفاة بها ، فانتخب أتباعه لخلافته حكيم نور الدين ، ولما توفى سنة (١٩١٤) اختير للرياسة بشير الدين محمود بن غلام أحمد نفسه ، وهو القائم بأمر هذه النحلة إلى اليوم .

أخذ بالقاديانية فى بعض بلاد الهند جماعة عرفوا بولوعهم الشديد لنشر مذهبهم ، فلم يوفقوا فى محاولاتهم ، لأن علماء الهند وقفوا لهم بالمرصاد ، فأبطلوا ما يدلون به إلى الناس بالحجج الدامغة ، فلم يقع فى حبائلهم غير من لا يعتد بهم ، ووقفت القاديانية عند حد لا تتعداه ، وقد مضى على تأسيسها نحو ستين سنة .

وقد تبين بعض رجالهم أن القاديانية ما دامت تصر على القول بنبوة غلام أحمد فلا تجد لها مساغا إلى عقول الناس ، وينتهى أمرها بالتلاشى لا محالة ، فرأوا أن يحذفوا من تعاليمهم أمر هذه النبوة ، وأن يقتصروا على القول بأن غلام أحمد كان مصلحا لا نبيا ، فانقسمت القاديانية إلى طائفتين : فطائفة قاديان بقوا على ما كانوا عليه من إثبات النبوة لغلام أحمد ، وطائفة لاهور رفضوا التسليم بهذه النبوة ، فكان عملهم هذا دليلا محسوسا على فساد مذهبهم ، فإن القاديانية إذا رفع منها القول بنبوة غلام أحمد لم يبق هناك معنى لأن ينتسب إليها منتسب وهو يرفض القول بالأصل الأول فيها ، ففى ذلك تكذيب ضمنى لمؤسسها ، فإنه دعا إلى الإيمان برسالته فى كل كتاب نشره ، وماذا يكون جواب المدافع عن هذه الطائفة إذا قال لهم قائل : أى ضرب من المؤمنين أنتم ! يقول صاحبكم إنه نبى ورسالته عامة ، فتقولون أنتم : لا ، إنه كان مصلحا فحسب ولم يك نبيا ؟

وإذا كانت هذه الطائفة تتظاهر بالقول بأن زعيمها كان مصلحا فحسب هربا من مصادمة العقول ، وإعوازا من الدليل المقنع ، وكانت مع هذا تبطن العقيدة بنبوته ، فلاشك أن ذلك يعتبر من أقوى الأدلة على وهن أساسها ، وهو اعتراف ضمنى بأن القاديانية على ما دعا إليه مؤسسها لا تصلح أن يصارَح بها الناس إلا بعد هدم أساسها ، وإيتائهم بها فى صورة غير صورتها .

ولما كان غلام أحمد يدعى أنه رسول الله وأن رسالته عامة ، فلابد لنا من ذكر مقتضيات الرسالات الخاصة والرسالة العامة ومميزاتهما ليعرف الناس وجوه الضلال فى أمثال هذه المزاعم .

مقتضيات الرسالات الخاصة والرسالة العامة ومميزاتهما :

جرت سنة الله تعالى أن يرسل إلى الناس رسلا لهدايتهم إلى طريق الحق ، وإرشادهم إلى أصول الحياة الفاضلة ، فصحبت رسالة كل واحد منهم انقلابات اجتماعية خطيرة ، وحوادث تطورية كبيرة ، تجاوبت بأصداء حركاتها أرجاء الأرض . ولست أصعد بالقارئ إلى العهود البعيدة للتاريخ فأكتفى بما يعرفه الناس جميعا منها ، وبما أصبح من المقررات التاريخية التى لا يختلف فيها اثنان ، فأقول :

أرسل الله موسى عليه السلام لإنقاذ بنى إسرائيل من أسر فراعنة مصر ، فقد كانوا استضعفوهم إلى حد أن أرهقوهم فى الأعمال الشاقة ، غير مبالين بما يناهم من عنت وهلاك ، ثم زادوهم عسفا فشرعوا يقتلون ذكورهم ويستبقون إناثهم ، فنالهم من جراء ذلك بلاء عظيم . فكان خلاص بنى إسرائيل فاتحة لحياتهم حياة دولية ، فاستعمروا الأرض المقدسة وأسسوا لهم فيها ملكا ومدنية كان لهما شأن كبير . وهذه كلها حوادث وانقلابات تقتضى إرسال رسول من أولى العزم ، ليستطيع بما أوتيه من الآيات ، وما أُيِّد به من الوحى أن يحدث حدثا اجتماعيا خطيرا ما كان ليستطيعه مصلح أو مليك .

وأرسل الله عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ليدلهم على ما بدلوه من دينهم ، وما حرفوه من أصوله ، فكان مجيئه فاتحة عهد جديد ، فقد نهض أتباعه ينشرون أصول دينه فى الجماهير ، غير آبهين بما نالهم من اضطهاد وتشريد ، وعذاب شديد ، فاهتدى على أيديهم رجال كانوا نواة لانقلاب خطير فى الدولة الرومانية إذا انتقلت من وثنيتها الأولى إلى المسيحية .

وأرسل الله محمدا ﷺ برسالة عامة إلى العالم كافة ، فى عهد كانت فيه الأمم فى حالة من العبودية للأقوياء ، والطاعة العمياء للأوصياء ، والتدهور المخجل فى الأخلاق والآداب ، بحيث كانوا فى حاجة إلى نور ساطع من السماء يمزق ما تلبد على القلوب من كِسَف الظلام ، وما أسدل على العقول من حجب الأوهام .

فكانت الحاجة ماسة إلى نزول وحى يرفع الخلاف بين الشعوب ، ويحل كثيرا من القيود التى فرضتها تلك الخلافات على بعضها حيال البعض الآخر ، وينبهها إلى أن أديانها كلها أصلها واحد ، وإنما اختلفت فيما بينها بما دسه قادتها إليها مما ليس منها ، وأن الرجوع إلى ذلك الأصل لابد منه لتخليص الدين مما يشوبه من أهواء البشر ، ولأن مصلحة الأمم تقتضى وحدة الوجهة ووحدة الغاية .

فكان ما أراده الله ، وكان من أمر النبى ﷺ وأمر الإسلام ما كان مما يعلمه الخاص والعام ، ولا تزال دعوة القرآن تدوى فى أرجاء الأرض يسمعها الناس فى كل مكان فيلبيها عشرات الألوف منهم فى كل سنة ، حتى قال برناردشو الفيلسوف

الانجليزى المشهور : إنه لن يمضى قرنان حتى يكون الإسلام قد عم أوروبا من شرقها إلى غربها . وإذا كان هذا مصير أوروبا وهى فى طليعة الأمم علما ومدنية ، فماذا يكون مصير القارات الأربع الباقية ، وهل يحتاج الإسلام فيها إلى جهاد قرنين وهو يسرى فيها بسرعة تفوق كل تقدير ؟

فهذه رسالة عامة ، وتلك مميزاتها وآثارها ، فأين منها ما يدعيه غلام أحمد لنفسه من المزاعم الباطلة ؟ وقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يلبها إلا أفراد من السذج ، وأمثال هؤلاء كثيرون فى كل زمان ومكان ، فما ادعى النبوة أحد إلا اتبعه من هؤلاء نفر لبثوا معه حتى مات ، ثم تفرقوا أو بقوا على ضلالتهم ، ثم أورثوها ذريتهم جيلا فجيلا ، وهذا هو علة وجود جميع الأديان الباطلة فى الأرض إلى اليوم .

نزاع القاديانية فى ختام النبوة :

لقد تجشم غلام أحمد جهدا جهيدا لكى يثبت أنه نبى ، فاصطدم بالنص القرآنى الدال على أن النبى ﷺ خاتم النبيين وأنه لا نبى بعده ، وأتى فى هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف . فزعم أن ما جاء فى القرآن الكريم عن النبى ﷺ من أنه خاتم المرسلين ليس معناه أنه آخرهم ، ولكن معناه أنه حلِيتهم ، فعنده أن كلمة (خاتم) ليست واردة فى الكتاب الكريم بمعنى آخر القوم ولكن بمعنى حلية الأصبع المعروفة ، فيكون فى الكلام مجاز . يقول هذا ويغفل عن أن هذا التعبير ساقط يتنزه القرآن عن مثله . ولو قال قائل لأحد الناس يمدحه : أنت خاتم قومك ، مكان أنت حليتهم ، لعد كلامهم ساقطا بل غير مفهوم على الإطلاق ، والكلام الإلهى يتنزه عن مثل هذا السقط .

هذا إلى ما ثبت من السنة المتواترة من أنه لا نبى بعد محمد ﷺ وقام شاهد العيان على صحة ذلك ، فلم يرسل الله فى هذه الأربعة العشر قرنا الماضية رسولا إلى قوم من الأقوام ، بَلْهَ رسولا عاما للبشر كافة .

إن غلام أحمد حصر كل جهوده فى إثبات رسالته وإحاطة نفسه بالنعوت والألقاب الفخمة ، معتقدا أن هذا كاف لإدراكه الغرض الذى رمى إليه فى بيئة كبيئته ،

فإن الجاذب الوحيد للدهماء التى تسارع إلى قبول أية دعوة هى هذه الألقاب الفخمة والنعوت المبالغ فيها التى ينتحلها الداعى لنفسه ، فكلما دخل فى روع الأتباع أن صاحبهم متناه فى السمو ، وأنه مكين فى الملأ الأعلى ، بالغ أتباعه فى التحمس له ، وزادوه سموا ومكانة حتى يبلغوا به درجة الألوهية ، غير فاحصين عما جاء به : أهو غث أم ثمين .

هذا شأن الدهاء قديما وحديثا ، وأمامنا فرق ومذاهب لا تعد ولا تحصى لو نقدتها لوجدت أكثرها يعتزى إلى أصل غير أصيل ، أو قائما على أوهام اكتسبت بطول الزمن سلطانا على الجماهير . فالقاديانية تبقى ما بقيت عقلية الآخذين بها فى الحد الذى هى فيه ، فإن تجاوزته إلى التبصر والاهتداء بالمنطق والحجة والبرهان ، تركت هذا المذهب وراءها كحلم من أحلام طفولتها ، وألقت به إلى عالم الأساطير (*) .

* * *

(*) مجلة الأزهر : المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، سنة ١٣٥٣ هـ . (صفحة ٦٦٤) .